

الحلقة الثالثة والثلاثون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي إشعياء (٢)

آلام المسيح

مستمعي العزيز ، بدأنا في اللقاء الماضي ، بدراسة أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس . وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن ، والمسيح المخلص الآتي .

ولقد بدأنا بالتأمل ببعض نبوءات النبي إشعياء ، التي تحدثت عن المخلص المسيح . فتبين لنا أنها أشارت إلى ولادة المسيح العذراوية ، أي من فتاة عذراء . وكشفت العديد من الحقائق الهامة عن شخصية المسيح الآتي . فهو الوحيد الذي سيكون مؤهلاً للرئاسة . وهو العجيب الإله القدير الأب الأبدي رئيس السلام . أي ملك السلام الذي سيجلس على كرسي الملك داود أبيه . ويحرر البشر من عبودية الخطية ، ويشرق بالنور على حياتهم .

وكما لاحظنا مستمعي ، فإن كل هذه النبوءات قد تمت بمجيء المخلص المسيح . لكن السؤال هو : هل تنبأ إشعياء أيضا عن الكيفية أو الوسيلة التي سينقذ بها المخلص المسيح جنسنا البشري ؟ إنه بالحق سؤال هام ، سنحاول الإجابة عنه في لقاء اليوم . وسبق لنا أن علمنا أن سفر إشعياء ، يقسم إلى قسمين رئيسيين . ولقد تأملنا في اللقاء الماضي بنبوءات القسم الأول منه ، والمتعلقة بالمخلص المسيح . وسنبدأ اليوم بالتأمل بنبوءات القسم الثاني من سفر إشعياء ، وهو الذي يشمل من الأصحاح الأربعين إلى نهاية السفر . هذه النبوءات التي لا بد أن تجيبنا عن السؤال الذي طرحته قبل قليل .

وكما ذكرنا في اللقاء الماضي ، فإن هذا القسم الثاني أطلق عليه البعض إسم سفر العزاء . والشخصية البارزة في هذا القسم هي شخصية عبد الرب المتألم ، أي المسيح . الذي سيفدي الإنسان ويأتي به إلى المجد الأبدي . وبمعنى آخر لقد تحدثت النبوءات في هذا القسم ، عن الكيفية التي سينقذ بها المخلص المسيح جنسنا البشري . ولهذا ركزت هذه النبوءات على الآلام القاسية التي سيجتازها المسيح ، وعمل الفداء الذي سيقوم به .

وسنقتصر في دراستنا بلقاء اليوم على نبوءة واحدة هامة ، تحدثت بالتفصيل عن آلام المسيح وعمل الفداء الذي أنجزه . وهي النبوءة التي وردت في الأصحاح الثالث والخمسين من سفر النبي إشعياء . مع العلم أن إشعياء تنبأ هذه النبوءة ، قبل ولادة المسيح بسبعمئة سنة .

كتب النبي أشعيا منتبأ عن المخلص المسيح فقال : " من صدق خبرنا ولمن أستعلنت ذراع الرب . نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة " لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتيه . محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به . " (إشعيا ٥٣: ١-٣) ألم تكن هذه هي حالة المخلص المسيح أثناء خدمته بالرغم من عجائبه الباهرة وأقواله الإلهية ؟ فلم يكن أحد يدرك حقيقة شخصيته الإلهية. أو لم تكن هذه أوصافه أثناء القبض عليه من قبل اليهود وتقديمه للمحاكمة ؟ لقد كان الرجل المرفوض والمحتقر من قبل عامة الشعب ورجال الدين ومن كل أذعياؤ التدين . لهذا خرجوا للقبض عليه بسيف وعصي كأنه مجرم . ثم أسلموه للموت طالبين أن يُصلب ، بالرغم من أنه كلمة الله الأزلي. وكرجل أوجاع ومختبر للحزن ، عانى المسيح وتألّم في حياته ، وبكى عدة مرات . ثم صرّح ليلة القبض عليه قائلا : نفسي حزينة جدا حتى الموت . حتى تلاميذه تخلوا عنه أثناء محنته ، لكنه قبل الإهانة والآلام مسرورا .

ألكن هل تحدثت نبوءة إشعيا بالتفصيل عن موت المسيح على الصليب ؟ الجواب نعم بالتأكيد. لا بل أوردت النبوءة تفاصيل هامة عن هذه الحادثة. فلقد كتب النبي إشعيا قائلا: "لكنّ أجزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسيناها مصابا ومضروبا من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفيينا . " (إشعيا ٥٣: ٥ و٤) صحيح أن المخلص المسيح كان رجل أوجاع ومختبر الحزن ، ومرفوض من قبل الناس ، لكنه حمل أجزاننا وتحمل أوجاعنا . وقد ظن الكثيرون أن الله ضربه وأذله. ألم يحصل هذا عندما مات المسيح على الصليب نيابة عنا ؟ ولهذا تابع النبي إشعيا موضعا ، أن سبب آلامه وجروحه هي معاصينا ، وأن سبب سحقه هي آثامنا . والهدف هو لكي ننال الشفاء أو الخلاص من عبودية الخطية ، ونحصل على السلام والغفران الإلهي .

وأضاف النبي إشعيا قائلا : " كلنا كغتم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . " (إشعيا ٥٣: ٧ و٦) إذن ، إن آثامنا ومعاصينا هي السبب الرئيسي والوحيد ، الذي قاد المسيح إلى الصليب . فبدلا من أن يدين الله القدوس ، كل واحد منا على ذنوبه ، أرسل المسيح البار ، لكي يحمل آثامنا وليأخذ القصاص عوضا عنا . وكما كان العبرانيون قديما يقدمون الذبائح الحيوانية للتكفير عن ذنوبهم ، هكذا مات المسيح على الصليب فدية وكفارة من أجل ذنوبنا . فلم تكن الذبائح القديمة سوى رمز لذبيحة المسيح ، الفدية الحقّة المقبولة أمام الله .

لهذا لم يكن غريبا أن تشبه النبوءة هنا ، ذهاب المسيح إلى الصليب ، بالشاة التي تساق إلى الذبح ، وبالنعجة الصامتة أمام جازيها . فكالشاة وكنعجة لم يفتح المسيح فمه ، لكنه ذهب إلى الصليب طوعا واختيارا . أليس هذا ما حصل تماما عندما مات المسيح على الصليب ؟ فقد حُكم عليه بالموت صلبا أمام الوالي بيبلاطس البنطي . وكانت أعجب وأغرب محاكمة جرت في التاريخ

البشري ، إذ لم يدافع فيها المتهم عن نفسه البتة . أجل ، لم يفتح المسيح فمه دفاعا عن نفسه ، تماما كما ذكرت النبوءة . واقتيد المسيح إلى الصليب بدون أي اعتراض ، كالخروف الذي يساق إلى الذبح ، وكالنعجة التي تجز . كل ذلك تنفيذا لرغبة الله الأب ، وحبا بنا. ودُقَّت المسامير في يدي المسيح ، وطُعن جنبه بالحربة ، أي جُرح وسُحق . وصُلِّب المسيح بين لصين إثنين ، واحد عن يمينه والآخر عن يساره ، أي **أحصي مع أئمة** ، كما ذكرت نبوءة إشعياء فيما بعد في نفس الأصحاح .

لم تقف النبوءة عند هذا الحد ، بل تابعت متحدثة عما سيحصل بعد الصلب . فنقرأ ما يلي: **"وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته . على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش.**" (إشعياء ٥٣:٩) وهو الذي حصل تماما . فعندما أسلم المسيح الروح ومات على الصليب ، أتى رجل غني من بلدة الرّامة اسمه يوسف وطلب جسد المسيح . فأخذ يوسف جسده ولفه بكتان نقي ، ووضع في قبره الجديد المنحوت في الصخر. كل هذا حصل للمخلص المسيح ، رغم أنه لم يعمل ظلما ، ولم يكن في فمه غش ، كما جاء في النبوءة . فهو القدوس البار الذي لم يفعل خطية ، ولم يوجد في فمه مكر ، لكنه صار خطية من أجلنا نحن البشر الخطة .

أمام كل هذه الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ، هل يبقى هناك أي شك لديك مستمعي العزيز أن المسيح مات مصلوبا ؟ فإذا كانت هذه النبوءة قد تحدثت بالتفصيل عن حادثة صلب المسيح، فهل يحق لنا التشكيك بها ؟ من الواضح أن الله أرسل كلمته الأزلي ، المخلص المسيح ، لكي يموت على الصليب كفارة لذنوبنا . وهو بذلك أكد عن عمق محبته اللامتناهية لنا نحن البشر الخطة . فهل هناك أعظم من هذه المحبة ؟

حقا ما أعظم محبة الله ، وما أدهش وما أروع خطته الأزلية لإنقاذنا. ولهذا كتب النبي إشعياء أيضا بلسان الله ، عن المسيح قائلا : **"وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها ."** (إشعياء ٥٣:١١) نعم ، إن المخلص المسيح بموته الكفاري على الصليب برر كثيرين من خطاياهم . هؤلاء الكثيرون الذين آمنوا به وبعمله الفدائي . والسبب لأنه حمل آثامهم عوضا عنهم ، وأخذ القصاص الذي كان يجب أن يقع عليهم .

وختم إشعياء نبوءته قائلا بلسان الله : **"لذلك أقسم له بين الأعداء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين ."** (إشعياء ٥٣:١٢) إن الله الأب بعد أن أكمل المسيح عمل التكفير عن ذنوبنا ، أقامه من بين الأموات غالبا ، وأصعده حيا إلى السماء ليشفع بالمؤمنين به . أي أن الله رفع المسيح كابن للإنسان ، وجعله عظيما فوق كل رئاسة وسلطان .

ألا ترغب مستمعي أن تكون من بين أولئك الكثيرين الذين يغفر الله آثامهم ويمحو خطاياهم ؟ إذن لما لا تعترف الآن بخطاياك ، وتؤمن إيماناً قلبياً بموت المسيح الكفاري من أجلك على الصليب . وعندها لا بد أن تتال وعد الله الأكيد لك بالغفران والخلود ، وتصبح خليفة جديدة ، ومن أولاد الله . فهل تراك تؤمن ؟